الطاؤوس والنسر
في العصر القبطي

د. رءوف حبيب

مكتبة المحبة

الطاؤوس والنسر
فى العصر القبطى

د. رءوف حبيب

مكتبة المحبة

THE PEACOCK & THE EAGLE IN THE COPTIC PERIOD

VO

MAHABBA BOOKSHOP

Dr. RAOUF HABIB

الطاؤوس والنسر
فى الفن القبطى

أولاً : الطاؤوس :

يمتاز الطاؤوس على سائر الطيور بعظم ما أسبغ عليه الخالق جل شأنه من جمال فتان فى صورته وجاذبيةً فائقة فى روعة ريشه وأجنحته ، ولذلك اتخذه كثير من الناس كوسيلة باهرة للزينة وأدخال البهجة للنفوس خلال جميع العصور القديمة منها والحديثة أيضا . ألا أننا نلاحظ أن الغالبية من القوم فى الشرق الأوسط اعتبروه مصدر نحس أو فال سيئ للأشخاص الذين يقتنون هذا الطائر ، وكان هذا الاعتقاد من البواعث التى صرفت الكثير من الناس عن اقتنائه وتربيته فى منازلهم على اعتبار انه طائر مدلل وذات جمال ساحر وروعة مرموقه فى منظره وبهائه النادر .

ومن الغريب أننا لا نجد تمثيلاً له على آثار مصر القديمة قبل العصر[1] اليونانى الرومانى ، ولكن ليس معنى هذا أن سكان مصر القدماء لا يعرفون هذا الطائر أو كانوا يجهلونه ، خصوصاً وأن المصرين القدماء نقشوا ورسموا على آثارهم وفنونهم عديدا من الطيور المحلية منها والغريبة عن البلاد أيضا ، وقد تتمخض الحفريات الأثرية مستقبلا فتمدنا بمعلومات علمية هامة تساعد على إماطة اللثام عن غموض

---

(١) رسم الطاؤوس على الآثار اليونانية كرمز لموضوعات أسطورية . فالدائرة التى يصنعها الطائر عندما يبدأ بنشر ريشه لها علاقة وثيقة الصلة بقوس قزح فى السماء وإلهته « ايزيس » كما أن الطاؤوس رفيق « هيرا Hera » إلهة السماء . وأن الطاؤوس يعتبر طائرها المقدس المحبوب .

ذلك السر فى إنعدام رسم طائر الطاؤوس على آثارهم القديمة رغم جلاله وروعته وبهائه . وقد يكون نفادى تمثيله على آثارهم لأسباب غير معروفه بعد ان يما يكون ما ذكرناه سابقا من تسلط فكرة التشاؤم أو غيرها من الأسباب الخرافية قد سيطرت على أفكار قدماء المصرين وجعلتهم لا يرغبون فى أظهار الطائر المذكور على مخلفاتهم .

وقد ظهرت أشكال الطاؤوس مرسومة أو منقوشة على الآثار والفنون بطريقة يواجه بها الواحد الآخر فى زمن الأمبراطور أغسطوس . كما ذكر أن الطاؤوس كان من الأطباق المفضلة لدى أباطرة الرومان .

وقد لاحظ الكاتب الرومانى الشهير العالم « بلينى Pliny » فى القرن الأول للميلاد ، أن ذلك الطائر الفاخر يفقد سنويا جمال ريشه وبهجته عند اقتراب فصل الشتاء ، ويستعيد نضارته وجماله عند قدوم فصل الربيع . وكانت هذه الظاهرة الخاصة بروعة ريشه فى ذبوله وعودة بهجته مما جعلت القوم يرون فيها مغزى عميقا فى طائر الطاؤوس واتخذوه مثلا صارخاً الى قيامة الجسد . ولهذا السبب لعب هذا الطائر دورا كبيراً فى الفن المسيحى ، وكثيرا ما مثله القبط على آثارهم وفنونهم وشواهد قبورهم ، وفى نفس الوقت رسموه على واجهات وأعتاب كنائسهم كرمز من رموز الفردس .

وكان الفردوس أو حقول النعيم تمثل كحديقة غناء زاخرة بأشجار وأغصان الكروم المحملة بعناقيد العنب ويقف فى وسطها طائر الطاؤوس ويحوط به المطوبون ممثلين على شكل طيور صغيرة وهى تمرح تملاؤها البهجة والسرور وهى قابعة بين أفرع وأغصان الكرم .

والطاؤوس الذى يستعبد روعة ريشه بعد نهاية فصل الشتاء قد يصبح أحيانا

رمزا لفصل الربيع — وأن الوثنيين كانوا يمثلون أربعة فصول السنة على شكل أربعة أطفال عارية . وأن المسيحين كانوا يصورون نفس الفكرة على توابيت موتاهم باختلاف فصل الربيع فقد صوروه على شكل طاؤوس . كذلك هناك فكرة أخرى كانت تعزى الى طائر الطاؤوس ، فقد انتشرت قصة فى عهد القديس اغسطينوس تروى على أن جسد هذا الطائر لا يتطرق اليه الفساد أو النتن كغيره من الأجساد الأخرى بعد الموت فرفعت هذه الفكرة الفذة ذلك الطائر الى مكانة مرموقة وجعلت منه رمزا عظيما لفكرة الخلود من ناحية ، وكمثل رائع لصور السيد المسيح المخلص الذى لم يكن للقبر أى تأثير على جسده الطاهر فبقى حيا نقيا من ناحية أخرى .

كما لا يخفى علينا أن نذكر أن من عادة هذا الطائر أن يتبختر عندما يهم بفرد جناحه وينشر جمال ريشه أظهاراً لروعته وبهجته وبهائه وفى ذلك ما يدعو الى اتخاذه كرمز للفخر والغرور الدنيوى والكبرياء . وبالرغم من أن الطاؤوس له من الدلائل والمظاهر التى فاقت سائر الطيور المنزلية فى تعظمه وفخره الا أنه من غرائب الصدف فانه يمتاز أيضا بشهرة بالغة فى صفتين مبجلتين وهما الطهارة والعفاف . ويشاهد فى أيامنا هذه أن بصور الطاؤوس أحيانا على جدران الكنائس القبطية فى مصر تمثيلا لجمال بيوت العبادة وأماكن الصلاة .

ومما هو جدير بالذكر أيضا أن طائر الطاؤوس يرمز فى الفن المسيحى الى القديسة بربارة المصرية عند الأشارة الى مدينة هليوبوليس وهى المكان الذى ولدت فيه . وقد شوهد على أحدى الشواهد أو الأعتاب العليا من البازلت ربما لبعض الكنائس صليب فى الوسط عليه طاؤوسان . وعلى فرعى الصليب الحرفان القبطيان(١) « a + w » وفى الفراغ العلوى بشاهد الشمس والقمر . كما لوحظ على أحدى المسارج التى جاءت من مدينة بيروت أشكال طائر الطاؤوس مرسومه عليها .

(١) الحرفان المذكوران يرمزان الى فكرة البداية والنهاية .

ثانياً : النسر :

النسر هو أكبر الطيور الجارحة أقواها ولذلك يطلقون عليه ملك الطيور ، وهو يسكن بأعلى قمم الجبال العالية يبنى عشه ويقوم بتربية صغاره حتى تكبر وتعتمد على نفسها .

ويمتاز النسر بقوة أقدامه وشدة مخاليه التى يستخدمها عادة فى الفتك وتمزيق فرائسه كما يشتهر بحدة البصر ومتانة الأجنحة والقدرة الفائقة على الطيران وعُرف عنه الشراهة والنهم أيضا . ونظرا لبعض صفاته النادرة ، اتخذت منه الأمبراطورية الرومانية وغيرها رمزا وشعارا لها عندما بلغت ذورتها فى العظمة والصولة ونقشوه ، على عملاتها المختلفة فى جميع عصورها ، وما زالت كثير من الممالك القديمة فيها والحديثة تتخذ من هذا الطائر الفريد شعارا ترسمه على أعلامها وأحيانا ينقشونه على أدوات الحروب كالخوذات والحراب والسهام كما صنعت الرموز والشارات على هيئة النسر لتمنح إلى الضباط فى الجيش والبوليس كعلامات للرتب العسكرية المختلفة .

والنسر يرمز إلى القيامة أو عودة الجسد الى[1] الحياة ويرجع هذا الاعتقاد اعتماداً على الفكر القديم أو المبكر على أن النسر يختلف عن الطيور الأخرى فى تجديد ريشه وشبابه وحيويته فى فترة معينة من كل عام ، وهذا التفسير عن تجديد قوته وشبابه جاءت مما ورد فى المزمور « ١٠٣ : ٥ . . . . . ليتجدد مثل النسر شبابك . . . » ويقال أن النسر له القدرة ، على الطيران فى الجو الى ارتفاع هائل حتى يقرب من الشمس ويغيب عن البصر كما يمكنه ان يحدق فى الشمس فى شده

(١) كثيرا ما تنقش النسور وهى تبسط جناحيها على لوحات شواهد القبور تأييداً للفكرة التى ترمز الى قيامة الأجساد .

وهجها فى منتصف النهار ثم يندفع من علوه الكبير ثم يغطس فى الماء — ولهذا السبب يرمز النسر الى السيد المسيح ، وبمعنى آخر يرمز الى أولئك المطوبين الذين يتصفون بالعدل والصدق وبفضائل الشجاعة والأيمان والتأمل — ومن النادر أن يوصف النسر بأنه طائر جارح مما يجعلنا أن نفكر فى الشيطان الذى يُسقط الناس فى خطايا الكبرياء وغيرها من الاغراءات الدنيوية وشرور العالم المادية . ومن مزايا طائر النسر أنه يرمز اليه بصفه الكرم والسخاء وله قدرة على تحمل الجوع إلى حد بعيد وقيل من عادته أنه يترك دائما جزءا كبيرا من فريسته — يصل الى النصف — الى الطيور الأخرى التى تتبعه .

كذلك يستخدم النسر كرمز الى الحياة الجديدة التى تبدأ بحياة المعمودية وقت العماد كما تقوى الروح المسيحية فى النعمة . « والذين ينتظرون السيد له المجد سوف تتجدد قواهم وسوف يصعدون بأجنحة كأجنحة النسور . . . . » كما جاء فى (أشعيا ٤ : ٣١) .

والنسر هو رمز خاص الى القديس يوحنا الأنجيلى ورؤية خرقيال كما ورد فى (من ١ : ٥ — ١٠) « . . . . . ومن وسطها شبه أربعة مخلوقات ولها أربعة وجوه وهى ما هو على شكل أنسان وآخر بوجه أسد وثالث بوجه ثور ورابع على شكل نسر وهذه أشارة الى الأنجلين الأربعة . الذين ذكروا حول عرش الله فى سفر الرؤيا (رؤ ٤ : ٧) وبما أن القديس يوحنا الأنجيلى هو الذى بدأ فى أنجيله بالتفكير فى ألوهيه السيد المسيح كما جاء فى يوحنا ١ : ٥ . لذلك كان يرمز بالنسر الى البشير يوحنا ، وبوضوح أكثر فقد عبر النسر عن وحى البشائر وجاء من هذه الفكرة أن المقرأة أو المنجلية وهى كلمة قبطية بمعنى « المكان الذى يوضع فيه الكتاب المقدس » لقراءة البشائر أو الأناجيل فيها ، وكثيرا ما كان يصنع على شكل نسر مجنح .

مكتبة
المحبة

الطـــاؤوس والنســـر

د. رءوف حبيب

جزء من أفريز من الحجر الجيرى من كنيسة مزين بنقوش تمثل طاووسا واقفا بين اغصان الكرم وطيور صغيرة تعرش بين الاغصان وهى ترمز الى المطوبين فى الفردوس.

القرن الخامس

Lime-stone fragment of frieze of a church ornamented with decorations representing a peacock standing among vine-branches and the little brids, symbolising the "elites" in Paradise, are perching upon the trees. V*th*. cent.

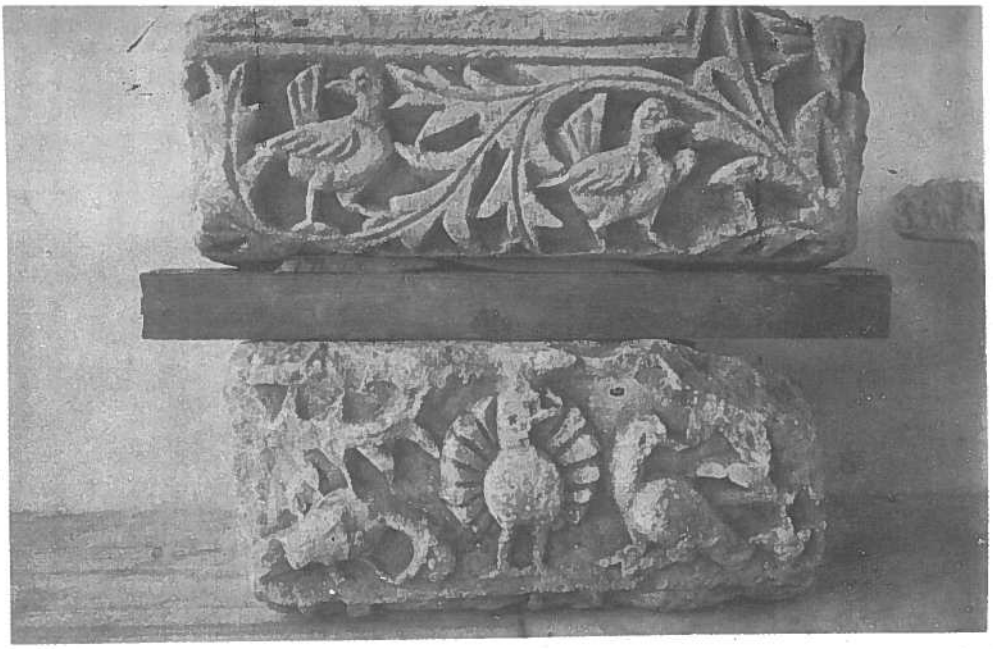

جزء من أفريز حجرى منقوش بالرسم البارز بمنظر فريد يصور طاؤوسا يفرد ريش ذيله على هيئة « قوس قزح » بين طائرين .

القرن الخامس

Part of a stone-frieze carved in relief with a unique picture showing a peacook strutting its tail-feathers shaped like the rainbow between two birds. V*th*. cent.

شاهد جنائزى من الحجر الجيرى على هيئة واجهة كنيسة عليه نقوش تمثل طاؤوسين يواجه أحدهما الآخر يشربان من اناء موضوع على عمود جيد النقش والطواويس تصور كثيرا على شواهد القبور تحقيقا لفكرة قيامة الأجساد .

القرن الخامس/السادس

Funerary stela shaped like a church - fronton with decorations showing two peacocks facing one another drinking from a vase placed upon a well-decorated column. Peacocks are frequently pictured upon tomb-stelas to recall the idea of the resurrection of the body. V*th*. century.

حشوة خشبية وسطى من حجاب مزينة بنقوش مفرغة بصورة تمثل طاؤوسين متواجهين فوق زهرية وبينهما عنقود من العنب .
القرن العاشر

Central wooden panel of an iconostasis decorated with a picture in open-work of two affronted peacocks upon a vase, and between them, a bunch of grapes exists. 10*th*. century.

تاج عمود من الحجر الجيرى على شكل سلة تعلوها نقوش بارزة تمثل حملان وبينها شكل طاؤوس وفوقه صليب – القرن السادس

Stone-capital shaped like a basket, surmounted by decorations in relief, representing lambs and a peacock with a cross over its back. 6*th*. century.

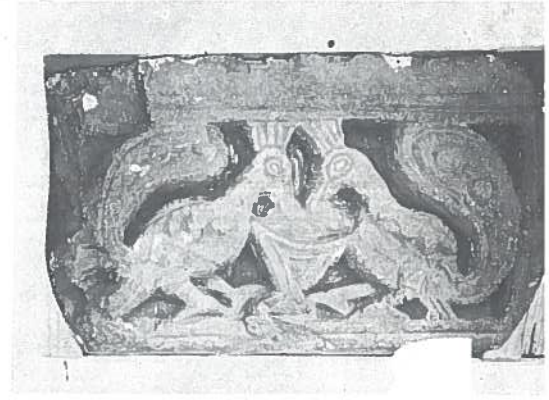

قطعة من أفريز حجرى عليها رسم لطاؤوسين متقابلين بينهما اناء يشربان أويأكلان منه ويشاهد على رأسيها شكل تاج القرن السادس

Part of a stone-frieze decorated with two affronted peacocks. Avase, from which they drink or eat, is placed between. Each head of the bird is surmounted by a crest. VI *th*. century.

شاهدى قبر حجر جيرى قمتها مستديره عليها نقوش متنوعة ونصوص قبطية مشوهه وأهم ما تحويه صور النسر الذى يبسط جناحيه بوسط كل شاهد . والنسور على شواهد القبور تزيد فكرة قيامة الجسد ألقرن السابع

Roand topped two stone-stelas decorated with various designs, mutilaled Coptic texts and particularly the picture of the eagle stretching its wings in the center of each stela. Depicting eagles on tomb-stelas recall the idea of the resurrection of the body. 7*th*. century.

شاهد قبر على شكل واجهة كنيسة عليه نقوش متنوعة قوامها فى الوسط صورة نسر يبسط جناحيه بين عمودين مزخرفين وباسفله نص قبطى باسم المتوفاه « تكلا » القرن السابع

Funerary-stela shaped like a chureh-fronton with various decorations. In the center, an eagle standing between two decorated columns stretehing its wings exists. In its lower part, a coptic text with the name of the deceased "Tekla" is engraved. 7*th*. cent.

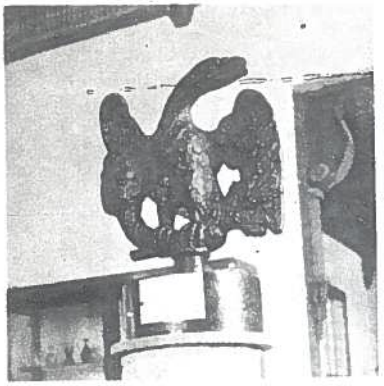

تمثال فاخر لنسر من البرنز وجد فى أنقاض حصن بابيلون الرومانى بمصر القديمة وكان النسر يمثل عظمة الإمبراطورية الرومانية فى عز مجدها .

القرن الرابع

Bronze splendid statue of an eagle found in the ruins of the Roman fortress of Babylon in Old Cairo. The eagle represented the Roman Empire in its splendour. 4*th*. century.

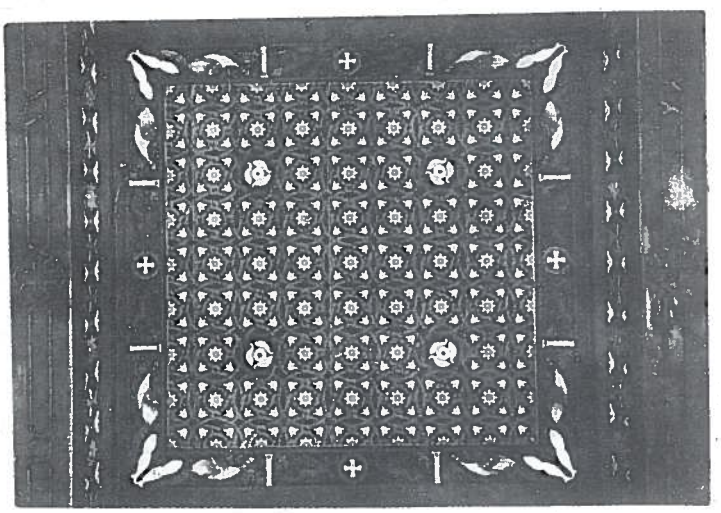

سقف خشبى مما يغطى أحد سقوف المتحف المختلفة رائع النقوش بالألوان ، زخارفه منقولة من جشرة لسقف أحد الأديرة القديمة المخروطة بالمتحف . ومن بين رسومه الوسطى زهرة اللوتس الحمراء والطيلسان وأشكال السمك والطاووس وهى من أبلغ الرموز المسيحية .

Wooden roof of the Coptic Museum decorated with coloured beautiful designs which are copied from an old roof-panel of the ancient roof-monasteries preserved in the Coptic Museum. Among its central designs are the red lotus flowers, crosses, fish and the peacock, the most striking symbols of Christianity.

أيقونة رائعة تصور السيد المسيح على عرش فى المجد ويحوطه المخلوقات الأربعة المذكورة فى سفر الرؤيا بأوجه نسر وانسان وثور وأسد .

Unique icon showing Lord Christ in glory encircled by the four creatures mentioned in the Apocalypse with the faces of an eagle, a man, a bull and a lion.

the eagle, unlike other birds, periodically renewed its plumage and its youth annually by flying near the sun and then plunging into water. This interpretation is further borne out by Psalm 103:5 " ..... thy youth is renewed like the eagle's."

The eagle is said to have the ability to soar until it is lost to sight, and still retain its ability to gaze into the blazing mid day sun. For this reason it has come to symbolise Christ. In a general sense, it symbolises those who are just ; or stands for the virtues of courage, faith, and contemplation. Mere rarely, when it is figured as a bird of prey, the eagle suggests, the demon who ravishes souls, or the sins of pride and worldly power.

The eagle also symbolises generosity. It was believed that the eagle no matter how great its hunger, always left half its prey to the brids that followed. The eagle is also used to represent the new life begun at the baptismal font and the Christian soul strengthened by grace. "But they that wait upon the Lord shall renew their strength ; they shall mount-up with wings as eagles .....," (Isaiah 40,31).

The eagle is particular attribute of St; John the Evangelist. The vision of Ezekiel 1 : 5, 10, " ..... out of the midst thereof came the likeness of four living creatures ..... as for the likeness of their faces, they four had the face of a man, and the face of a lion ..... the face of an ox ..... the face of an eagle, " was interpreted as refering to the four evangelists. Besause St. John, in his gospel, soared upward in his contemplation of the divine nature of the Saviour, the eagle became his symbol. In a more general sense, the eagle came to represent the inspiration of the gospels. It is from this symbolic interpretation that the lectern, from which the gospels are read, is often given the form of a winged eagle.

Raouf.

MAHABBA
BOOKSHOP

THE PEACOCK & THE EAGLE

Dr. RAOUF HABIB

its plumage, lost and regained, which made people seek a profound significance in the peacock. It became a striking symbol of the resurrection of the body. For this reason, it has played a great part in Christian art, and the Copts frequently represented it on their antiquities. At the same time, the Copts figured it on the architraves and lintels of their churches as a symbol of Paradise. It is also noticed frequently depicted on tomb-stelas in order to recall the idea of the resurrection of the body.

Paradise or the Elysian Fields, was represented as a vineyard laden with clusters of grapes amidst which stood the peacock surrounded by the Blessed pictured as little birds perched joyfully among the branches of the trees.

The peacock, which regains its plumage with the passing of winter, sometimes became a symbol of spring. The pagans represented the four seasons of the year as four naked infants. The Christians did the same on the sarcophagi, with the exception of spring which appears as a peacock.

Afurther quality was attributed to the peacock. There was a story prevalent in the time of St. Augustine that the flesh of this bird remains incorruptible after death. It is this legend which made the peacock an impressive symbol of immortality on the one hand, and an image of the Saviour who escaped the corruption of the grave on the other hand.

The peacock's habit of strutting and displaying the beauty of its feathers caused it also to become a symbol of worldly pride and vanity. Although the peacock is the most sumptuous and proud of all domestic birds, it curiously held a great reputation for purity and chastity. Nowadays the peacock is sometimes figured on the Coptic churches of Egypt to represent the beauty of the house of worship and of prayer.

It is also noteworthy to mention that in the Christian art, a peacock's feather is often on attribute of St. Barbara, the Egyptian, in reference to Heliopolis, the city of her birth. It is remarked on one of the superior lentils of bazalt, probably belonging to some churches, the figure of a cross in the centre with two peacocks, and on the two parts of the cross, the two Coptic letters [1] " a + w" are inscribed. On the higher space the figure of both the sun and the moon is designed. On one of the pottery-lamps, brought from the city of Beirut, the figure of the peacock has been depicted.

II : **The Eagle :**

The eagle is the largest and strongest of all birds of prey, therefore it was called the king of birds. It lives on the summits of the high mountains, where it builds its nest and takes care of its youngs until they grow and depend upon themselves.

The eagle is distinguished by its powerful feet and sharp claws which are generally used in assaulting and tearing its victims. It is reputed for its keen sight, durable wings and its unmatched ability in flight. It is also noted for gluttony and greediness. Owing to some of its rare qualities, the Roman Empire has adopted it as a sym bol of its splendour and grandeur. The picture of the eagle has frequently been sculptured through all the Graeco. Roman periods on the different coins. Many of the Ancient and nodern nations still adopt this unique bird as a symbol to be depicted upon their flags, or sometimes engraved on weapons as shields, arrows and lances. Symbols and signs shaped like eagles are fabricated, in order to be conferred upon the officers of the military-troops or police, as a distinction of their different ranks.

The eagle may generally be interpreted as a symbol of the resurrection[1] of the body. This is based upon the early belief that

(1) The two Coptic letters symbolising the beginning and the end.

Raouf

(1) Eagles with stretched wings are frequently engraved upon tombstelas to recall the idea of the resurrection of the body.

The Peacock & The Eagle In The Coptic Art

1 - The Peacock :

Among all birds, the peacock is the most attractive and fascinating of all winged creatures because of its remarkable beauty. It has in consequence been employed as a dazzling decorative motive through all ancient and modern times. In spite of its incomparable charm, the peacock is considered by a majority in the Middle East as a source of evil to those who possess it, and for this reason, none dares to keep it in his house as a decorative bird. No representation of it occurs on ancient Egyptian antiquities before the Graeco-Roman period. But this does not mean that the ancient inhabitants of Egypt had no acquaintance with it, for they figured several birds foreign and local on their objects of art, and perhaps future discoveries will reveal this secret. Otherwise, the Egyptians must have omitted representing it for unknown reasons. Perhaps it is the above mentioned superstition, which still persists among us, that explains why the Ancient Egyptians refused to show the peacock on their monuments.

The bird appeared on Graeco-Roman antiquities as a mythological symbol. The circle made by the peacock when strutting its feathers is intimatcly bound up with the rainbow and its goddess is „Iris". The peacock was also the companion of "Hera", goddess of heaven. The peacock was her favourite and sacred bird. Peacocks facing one another appeared on objects of art from the time of Augustus. It is mentioned that the peacock was a favourite dish of the Roman emperors.

Pliny,the famous Roman writer in the *1st* century, noted that this splendid bird annually loses its array of feathers at the approach of winter and regains it in spring. It is this phenomenon of the glory of